إعادة تعريف نظرية الصّرفة ونقدها

أ.م.د. علي نصيري
جامعة ايران للعلوم والتكنولوجيا

فحوى البحث

قام هـــذا البحث، بعد تبيين المناهج المختلفة حول نظرية الصّرفة، بدراسة مجالين لقبول النظرية، أي حصر إعجاز القرآن الكريم في الجوانب الظاهرية، وعــدم الاكتراث لحدود تحدي القرآن، ومن ثم بتحليل حجج المعارضين، (أي المدافعين عن الصّرفة).

وفي الختام دافع الباحث عن أدلة المخالفين للصرفة والتي أهمها: دلالة آيات التحدي على ذاتية التحدي، وافتقاد كلمة (التحدي) للمعنى على أساس نظرية الصّرفة. والأهم من ذلك هو: أن الباحث يعتقد أن القرآن متمتع بهيكلية عظيمة لا تدع أي مجال لمن يريد ادعاء منافسته –وهو أمر يدل على هشاشة النظرية (على حد رأي الباحث).

ملخص البحث:

على الرغم من تركيز جميع علماء المسلمين على الإعجاز الداخلي والذاتي للقرآن، لكنه قال بعض المنظرين بأن إعجاز القرآن الكريم هو من باب الصرفة. والصرفة بمعنى التدخل الخارجي من قبل الله تعالى لصرف المعارضين عن معارضتهم للقرآن الكريم وقد ذكروا لهذه النظرية ثلاثة تحليلات: سلب القدرة؛ سلب الدوافع أو سلب العلوم. قام هذا البحث، بعد تبيين المناهج المختلفة حول نظرية الصرفة، بدراسة مجالين لقبول النظرية أي حصر إعجاز القرآن الكريم في الجوانب الظاهرية، وعدم الاكتراث بحدود تحدي القرآن ومن ثم بتحليل حجج المعارضين (أي المدافعين عن الصرفة) وفي الختام دافع الكاتب عن أدلة المخالفين للصرفة والتي أهمها دلالة آيات التحدي على ذاتية التحدي و افتقاد كلمة «التحدي» للمعنى على أساس نظرية الصرفة. والأهم من ذلك، هو أن الباحث يعتقد أن القرآن متمتع بهيكلية وفحويات عظيمة لاتترك أي مجال لشخص حتى يريد إبراز نفسه لمنافسته فمن هذا المنطلق و نظرا إلى عظمة القرآن المنقطع النظير تتضح هشاشة نظرية الصرفة.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن الكريم، والصرفة، والتحدي، و وجوه الإعجاز، والإعجاز في الهيكلية و الفحوى.

المقدمة:

لا شك بأن المعجزة الرئيسية للرسول الأكرمﷺ التي بها تكشف حقانية رسالته هي القرآن. فضلاً عن أدلة الوحي وإجماع المسلمين لإثبات هذا الإدعاء، تعريف المعجزة منطبق على القرآن بأفضل طريقة لأن المعجزة يجب أن تحظى بأربعة شروط:

١. أن تكون قريناً بادعاء الرسالة.
٢. أن تكون خارقة للعادة، أي لا يكون أحد قادرا على أداء مثل ذلك.
٣. أن تكون مع تحدي الآخرين.
٤. أن لا يكون قد نُقض التحدي لها[1].

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا راجع: كتاب التعريفات، ص٩٦؛ اكتشاف

والقرآن متمتع بكل هذه الشروط لأن النبيﷺ ادعى الرسالة بعرضه لجميع أهل العالم. إن القرآن هو الكتاب الذي يفوق طاقة الإنسان؛ يتحدى القرآن الآخرين من خلال ثلاث مراحل ليأتوا بكتاب مثل القرآن أو عشر سور أو سورة واحدة[٢] كما أنه لم يستطع أحد منذ البداية حتى الآن أن يأتي بسورة مثل سور القرآن الكريم حتى كسورة قصيرة منه، مما يشكل نقضا لذاك التحدي.

ومع ذلك، ومنذ البداية حتى الآن هناك خلاف كبير بين علماء المسلمين حول الجانب الإعجازي للقرآن.

يمكن أن نصور على العموم آراء علماء و مفكري الفريقين حول نظرية حول إعجاز القرآن الكريم من ضمن نظريتين كما يلي:

١. إعجاز القرآن الكريم ذاتي، أي إن القرآن يمتلك الإعجاز في نفسه سواء من حيث الفصاحة والبلاغة أو من جهة النظام أو أنباء الغيب أو عدم دخول الخلاف فيه أو من حيث التمتع بالتعاليم العالية والعميقة كما أن الأغلبية الساحقة لعلماء السنة و الشيعة ذهبوا إلى هذا الرأي.

٢. إعجاز القرآن خارجي؛ أي إن القرآن فاقد الإعجاز في ذاته وإعجازه مرتبط بتدخل الله من خارج القرآن؛ بمعنى أن الله تعالى لايسمح بإرادته التكوينية و الجبرية أن يعارض وينافس المعارضون القرآن كي لايأتوا بكلام مثله حتى وإن كان ذلك بقدر سورة واحدة. الغرض من نظرية "الصرفة" التي

كشف المراد، ص ٣٥٠، البيان، ص ٣٣؛ الالهيات، المجلد ٢، ص ٢١٤، وپيام قرآن (أي رسالة القرآن)، المجلد ٧، ص ٢٧٧.

(٢) وقد طالب القرآن الكريم في بداية ما ادعى الخصم أنه يقدر على أن يصنع مثل ما جاء به القرآن الكريم أن يثبتوا ما يدعون ويعرضوا ما يماثل القرآن. وعندما عجزت الخصوم عن ذلك، تحدى القرآن بأن يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن. (هود، ١٣) وفي الخطوة الأخيرة طلب منهم من أجل إثبات ادعائهم على أن القرآن الكريم من عند الرسول الاكرمﷺ نفسه ولا ليس من عند الله تعالى أن يأتوا على الأقل بسورة واحدة تماثل سورة من القرآن. (سورة البقرة، ٢٣، ٢٤).

أصر عليها بعض العلماء والمنظرين، خاصة بعض المعتزلة مثل «النظام»، وبعض الأشاعرة والسيد المرتضى؛ نفس التحليل، يعني أنهم يعتقدون بأن إعجاز القرآن شيء أبعد من ذات القرآن وما فيه [٣].

ثلاثة تحليلات لنظرية الصرفة:

فعلى أساس نظرية الصرفة يرجع إعجاز القرآن إلى أمر خارجي من هذا الكتاب السماوي بمعنى أن الإرادة إلهية تعلقت بمنع المعارضين للقرآن من أن يأتوا بكلام يماثل القرآن. مع ذلك فقد ذكروا ثلاثة تحليلات لنظرية الصرفة على النحو التالي:

١. إن الله لن يسمح بالجبر والقسر و إرادته التكوينية لأي أحد أن يقوم بمعارضة القرآن فبالتالي يسلب سبحانه و تعالى من المعارضين القدرة على ذلك.

٢. إن الله يسلب دوافع معارضة القرآن من المعارضين. وفقا لذلك، هم كلما أرادوا أن يعارضوا القرآن الكريم، يسلب الله دوافعهم ولا يسمح لهم أن يقوموا بالمعارضة. وهذا يعني أن أعداء القرآن يمتلكون العلم اللازم لمعارضته وتحديه؛ ولكن الله عز وجل يمنعهم من القيام بذلك لقاعدة اللطف ولئلا يزول اعتبار الإعجاز القرآني. و ممن يدافع عن نظرية الصرفة هذه، هم أبو إسحاق النظّام، وأبو إسحاق النصيبي، وعباد بن سليمان الصيمري وهشام بن عمرو الفوطي.

٣. إن الله سبحانه وتعالى يسلب منهم العلوم التي يحتاجون إليها لمعارضة القرآن وهذا يعني أن لديهم حوافز لمعارضة القرآن، ولكن لما سلبت العلوم اللازمة منهم فهم ليسوا قادرين على تحقيق معارضتهم.

هنا تجدر الإشارة إلى نقطتين حول هذه التحليلات الثلاثة على النحو التالي:

١. كما يبدو أن التحليلات الثلاثة

(٣) يكتب العلامة الحلي: «قال النظّام و المرتضى هو الصرفة بمعنى انّ الله تعالى صرف العرب و منعهم عن المعارضه». كشف المراد، ص ٣٥٧.

مشتركة في أن الإعجاز أمر خارجي و أبعد من القرآن والقرآن في ذاته فاقد الإعجاز سواء من جانب الهيكلية أو من جهة الفحوى[٤].

٢. على الرغم من أنه يبدو الاشتراك بين هذه النظريات الثلاث، لكن مفهومها جميعاً هو أن الله تعالى يمنع معارضة القرآن بإرادته الجبرية. وبعبارة أوضح فان هذه النظريات الثلاث بعضها لبعض علّ. بل كلها بمعنى واحد يعني الإرادة القسرية لله تعالى لمنع معارضة القرآن تلخص في حالتين أي هذه الإرادة القسرية تتحقق بطريقين إما بسلب الإرادة من المعارضين أو سلب العلوم اللازمة منهم.

نظرة إلى الاتجاهات المختلفة لنظرية الصرفة:

نستطيع أن نحصل على ثلاثة اتجاهات أساسية حول هذه النظرية و ذلك بالنظر إلى مجموع الآراء التي قدمها علماء الفريقين بشأن نظرية الصرفة و ذلك هو:

١. الدفاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الخلو.
٢. الدفاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع.
٣. نقد نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع.

١. الدفاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الخلو:

على هذا الأساس يعتقد بعض العلماء بأن هناك طريقتين لإثبات إعجاز القرآن.

١. إثبات الإعجاز لما ورد في القرآن (أي إثبات إعجاز القرآن في ذاته) من خلال قبول أحد الوجوه مثل الفصاحة والبلاغة المتفوقة.
٢. إثبات إعجاز القرآن من خلال نظرية الصرفة.

في الحقيقة، فان غرض هذه الفئة من العلماء هو أننا سواء قلنا بأن القرآن في حد ذاته معجزة أو نقول بأن الله تعالى

(٤) أوائل المقالات، ص ١٦٦ –١٦٨؛ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢٤٧؛ الفصل في الملل و النحل، ج ٣، ص ٢٩.

يمنع معارضة القرآن من خارجه، فعلى أية حال، كل ذلك يخل بتحدي القرآن لأنه لم يستطع أحد أن يأتي بكلام مثله و هذا يكفي لإثبات إعجاز القرآن الكريم.

قال خواجه نصير الدين الطوسي قدس سره في «تجريد الاعتقاد» حول هذا الموضوع: «وإعجاز القرآن قيل لفصاحته، وقيل لأسلوبه وفصاحته، وقيل للصرفة والكل محتمل»(٥).

و يتبعه العلامة الحلي قدس سره في شرح ذلك حيث يقول:

«أقول: اختلف الناس هنا، فقال الجبائيان: إن سبب إعجاز القرآن فصاحته. وقال الجويني: هو الفصاحة والأسلوب معا وعنى بالأسلوب الفن والضرب. وقال النَظّام والمرتضى: الصرفة، بمعنى أن الله تعالى صرف العرب ومنعهم عن المعارضة... وكل هذه الأقسام محتملة»(٦).

و قال «ايجي» في هذا الخصوص أيضاً: «وأما الصرفة فنقول بأن الإعجاز أوليس بها على التعيين ولكن ندعيها أو كون القرآن معجزا وأيا ما كان يحصل المطلوب أعني إثبات الرسالة بالمعجزة إذ كل منهما معجز خارق للعادة الكلام في سائر المعجزات»(٧).

و كتب المحقق البروجردي قدس سره: «لكنّه لا يخفى عليك أنّ الاختلاف في ذلك غير قادح في الإعجاز الَّذي اتّفق عليه جميع أهل الإسلام، بل كافّة الأنام من الخواصّ والعوامّ، حيث إنّه من الضروريّات القطعية المعلومة للجميع»(٨).

و كذلك قال ابن كثير في هذا الموضوع:

«وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة. فقال إن كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الاتيان بمثله ولا في قواهم معارضته،

(٥) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (تحقيق الآملي)، ص ٤٨٤ - ٤٨٥.
(٦) نفس المصدر.
(٧) المواقف، ج ٣، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.
(٨) تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥١. راجع: تفسير مقتنيات الدرر، ج ٦، ص ٢٦٨.

فقد حصل المدعى وهو المطلوب، وإن كـــان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مــع شدة عداوتهم له كان ذلك دليــلا على أنه من عند الله لصرفه إياهـم عـن معارضته مع قـدرتهـم على ذلك، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق، وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر»[٩].

٢. الدفـــاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع:

إن مقصودنا من الدفاع بصورة "مانعة الجمع" هو ما قاله المعتقدون بالصرفة بأن السبيل الوحيد لإثبات إعجاز القرآن هو نظرية الصرفة دون الاعتقاد بالإعجاز الـذاتي لما ورد في القرآن. وكما تقدم أن بعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وكذلك السيد المرتضى من الشيعة قد دافعوا عن هذه النظرية.

(٩) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٤.

على سبيل المثال قال المحقق الحلي؛ في هذا المجال:

«واعلم أن الناس اختلفوا في وجه الإعـجـاز، فـقـال قـوم: هـو الفصاحة. وقال آخرون: هو الأسلوب. وآخرون: هـو مجـمـوع الأمـريـن. وآخـــرون: هو سلامته من الاختلاف. واختار المرتضى الـصـرفـة. وذكـر أن الـعـرب قـادرة على مثل فصاحته وأسلوبه، غير أن الله تعالى صرفهم عن ذلك. ولعل هذا الوجه أشبه بالصواب»[١٠].

٣. نقـــد نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع:

ويرى المعارضون، إنما يمكن إثبات إعجاز القرآن بإثبات أفضلية و تفوق ما ورد في القرآن نفسه ولا يمكن الدفاع عن إعجاز القرآن بنظرية الصرفة.

لكن مخالفى نظرية الصرفة يعتقدون أنـه يـرد على هـذه النظرية إشـكـالان أساسيان وهما:

١. لنظرية الصرفة إشكاليات مختلفة من

(١٠) المسلك في أصول الدين، ص ١٨١-١٨٥.

وجهة نظر العقل والنقل فلذلك لا يمكن الدفاع عنها. وبعبارة أوضح، لايمكن إثبات التدخل القسري لله تعالى من أجل منع معارضة القرآن الكريم، حتى يمكن بعد الإستناد إلى ذلك أن نثبت إعجاز القرآن من خارجه.

٢. وعلى افتراض قبول جميع أدلة الصرفة وعلى أساس كل من التحليلات الثلاثة لنظرية الصرفة، لا يثبت إعجاز القرآن بأي شكل من الأشكال. في حين أن جميع المسلمين يعتقدون أن المعجزة الوحيدة الخالدة للنبيﷺ هي القرآن؛ ما يثبت على أساس نظرية الصرفة هو التدخل القسري والجبري لله تعالى في منع معارضة هذا الكتاب السماوي المقدس.

حقول الإعتقاد بنظرية الصرفة:

يمكن الفهم من تحليل مجموع كلمات المدافعين عن نظرية الصرفة بأن خطأين كبيرين كانا مؤثرين في ظهور نظرية الصرفة كما يلي:

١. تصور انحصار إعجاز القرآن في الجوانب الشكلية والبلاغية.

٢. عدم الإلتفات بحدود تحدي القرآن.

١. **تصور انحصار إعجاز القرآن في الجوانب الصورية والبلاغية:**

أحد الأسباب التي أدت إلى أن يتصور بعض العلماء أن يقبلوا نظرية الصرفة، هو أنهم تصوروا بأن إعجاز القرآن منحصر في الجوانب الصورية والظاهرية أي الفصاحة والبلاغة و ويمكن تعريف الإعجاز للقرآن في هذا الإطار فقط. وهكذا، أصبح من الصعب بالنسبة لهم أن يقبلوا عدم إمكانية الإتيان بكلام مثل ما ورد في القرآن وإن كان ذلك قدر سورة قصيرة. فبالتالي، قالوا بأن إعجاز القرآن يجب أن يكون شيئاً ما وراء ذات القرآن وما فيه.

التحليل الذي قدمه بعض المنظرين المتقدمين في إعجاز القرآن، يعطي مثل هذا الفهم الخاطئ بمعنى أن إعجاز القرآن انحصر في الجوانب الصورية والظاهرية؛ فعلى سبيل المثال يقول

عبد القادر الجرجاني من مؤسسي قضية البحث في إعجاز القرآن:

«عما ذا عجزوا؟. أعن معان من دِقَّةِ مَعانيه وحُسْنِها وصِحَّتها في العقول؟. أمْ عن ألفاظٍ مِثْلِ ألفاظه؟. فإنْ قلْتُم: "عنِ الألفاظ"، فماذا أَعْجَزَهم منَ اللفظ، أمْ ما بهرهم منه؟. فقلنا: أعجزتم مزايا ظهرتْ لهم في نظمِه، وخصائصُ صادفوها في سِياق لفظه...»[11].

و كذلك يقول في موضع آخر:

«أنَّ الوصْفَ الذي به تَنَاهى القرآنُ إلى حدٍّ عجزَ عنه المَخلُوقونَ، هو الفصاحةُ والبلاغةُ[12]».

ويقول الأستاذ «معرفت» حول دور تحليل إعجاز القرآن في ظهور نظرية الصرفة:

«نعتقد أنّهم واجهوا أولئك الذين قصروا وجه الإعجاز فى جانب لفظ القرآن و حروفه و جودة سبكه و أسلوبه.. و هو جانب جدّ خطير، يعلو به شأن الكلام و يرتفع قدره.. إلّا أنّه ليس بمثابة بحيث يخرجه عن الحدّ المعتاد غير الممكن على فصحاء الكلام و بلغاء البيان.. ففي كلام العرب و غيرهم من أمم ذات لغة راقية مقطعات رائعة، من بديع النظم و رفيع النثر ممّا يبهر و يعجب!. و نرافقهم في هذا الشأن، غير أنّ جهة الإعجاز البياني للقرآن- على ما سنذكر -لا تنحصر فى جودة سبكه و روعة نظمه، والوفير من بدائع المحسّنات اللفظية. إنّ هذا كلّه إنّما هو جزء سبب لروعة القرآن الباهرة... وإنّ وراءه سبباً آخر أقوى هو كامن وراء هذا القالب الجميل، هي: خلابة روحه، ونسمة روحه. فخامة معنى فى أناقة تعبير. وهما مجتمعين وليدان توأمين، الأمر الذي يعزّ وجوده، بل ينعدم في كلام غيره...»[13].

ويستفاد من كلام العلامة الطباطبائي؛ في ذيل الآية الشريفة ٣٨ من سورة يونس أنه أيضاً يرى إعجاز القرآن في ركنين أساسيين أي اللفظ والمعنى،

(١١) دلائل الإعجاز في القرآن، ج١، ص٣٩.
(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص٥٢٠.
(١٣) التمهيد في علوم القرآن ج٤، ص١٧٢-١٧٣.

وينقد ما يعبر عنه باهتمام القدماء دائما بتركيز نظرتهم على الإعجاز البياني للقرآن الكريم مما جعلهم هذا الأمر أن يكتبوا العديد من الكتب في خصوص الفصاحة والبلاغة للقرآن الكريم.

يقول العلامة:

«أن الآية لا تتحدى ببلاغة القرآن وفصاحته فحسب بل السياق في هذه الآية وفي سائر الآيات التي وردت مورد التحدي يشهد على أن التحدي إنما هو بما عليه القرآن من صفة الكمال ونعت الفضيلة من اشتماله على مخ المعارف الإلهية، وجوامع الشرائع من الاحكام العبادية والقوانين المدنية السياسية والاقتصادية والقضائية والأخلاق الكريمة والآداب الحسنة، وقصص الأنبياء، والأمم الماضية، والملاحم والاخبار الغيبية، ووصف الملائكة والجن والسماء والأرض والحكمة والموعظة والوعد والوعيد، وأخبار البدء والعود، وقوة الحجة وجذالة البيان والنور والهداية من غير أن يختلف جزء منه عن جزء، أضف إلى ذلك وقوعه في بلاغته وفصاحته موقعا يقصر عن البلوغ إليه أيدي البشر».

ولقد قصر الباحثون من علماء الصدر الأول ومن يتلونهم إذ قصروا إعجازه على بلاغته وفصاحته، وكتبوا في ذلك كتبا وألفوا رسائل فصرفهم ذلك عن التدبر في حقائقه والتعمق في معارفه...»[١٤].

وكذلك يكتب سماحته في ذيل الآية الشريفة لسورة هود:

«فالذي كلف به الخصم في هذه التحديات هو أن يأتي بكلام يماثل القرآن مضافا إلى بلاغة لفظه في بيان بعض المقاصد الإلهية...»[١٥].

فبناء على ذلك، كلام يمكن أن يماثل القرآن أن يشتمل على جميع جوانب الفصاحة والبلاغة وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يحظى بمعانٍ عالية وعميقة و يكون مثل القرآن متمتعاً بالضوء، والهدى والشفاء. لكن في الحد الأعلى من التصور ما يمكن أن يعرضه بعض

(١٤) الميزان، ج١٠، ص ٦٥.
(١٥) نفس المصدر ١٦٧.

المتحدثين المهرة، يحاذي القرآن من حيث اللفظ، وليس في المعنى والمضمون. فنظراً إلى هذه النقطة لا داعي للبحث عن إعجاز القرآن وراءه معتمداً على نظرية الصرفة.

٢. عدم الاهتمام بحدود تحدي القرآن:

من الأمثلة التي ذكرها دعاة نظرية الصرفة من أجل إثبات إمكان الإتيان بكلام يساوي القرآن الكريم، يمكن إدراك هذا بأنهم تصوروا أن القرآن تحدى بآياته أيضاً و ذلك دون الإلتفات إلى مراحل التحدي المطلوب فيه بيد أن المرحلة الأخيرة لتحدي القرآن هي سورة [واحدة] ولا آية [واحدة].

فأما الذي هو مشهور بين المتخصصين في العلوم القرآنية و كذلك المفسرين للقرآن من الشيعة والسنة هو أن الحد الأخير للتحدي، سورة، ولم يثبت التحدي بالنسبة إلى أقل من ذلك. فتح الزركشي[١٦] والسيوطي[١٧]، وهما من رواد مؤلفي العلوم القرآنية، فصلا سمي بـ«ما قدر المعجز من القرآن» وذكرا فيه رأي الأشاعرة الدال على حد المعجزة بأنه سورة. فعلى سبيل المثال يكتب الباقلاني:

«الذي ذهب إليه عامة أصحابنا – وهو قول [الشيخ] أبى الحسن الأشعري في كتبه –أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها... ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر»[١٨].

وذكر عبد العظيم الزرقاني من خلال عد مراحل التحدي الثلاث:

«وبهذا يتبيّن لك أن المرز المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه، و انّ القائلين بانّ المعجز هو كلّ القرآن لابعضه و هم المعتزله و القائلين بانّ المعجز كلّ ما يصدق عليه انّه قرآن و لو كان اقلّ من سورة، كل اولئك بمنأى عن الصواب»[١٩].

على الرغم من أن علوم القرآن الشيعية لم تتعرض لهذه المسألة في فصل

(١٦) البرهان فى علوم القرآن، ج ٢، ص ١٦.
(١٧) الاتقان فى علوم القرآن، ج ٤، ص ٢٠.
(١٨) إعجاز القرآن، ص٢٥٤.
(١٩) مناهل العرفان، ج ١، ص ٣٢٣.

مستقل ولكن يمكن أن يلاحظ الإعتراف بذلك، من بين كلماتهم التي تحدثت عن التحدي. أكد جمهور مفسري الشيعة والسنة على صحة هذا الادعاء لأن ترتيب آيات التحدي في وجهة نظرهم بحيث يؤدي إلى نفس النتيجة[٢٠].

دراسة أدلة المدافعين عن نظرية الصرفة:

من مشاهدة كلمات المدافعين عن نظرية الصرفة يمكن أن نفهم بأنهم قدموا أربعة أدلة لنظرية الصرفة:

١. عدم أفضلية لسان القرآن على سائر الألسنة.
٢. تلازم بين قدرة عرض المفردات مع قدرة عرض التراكيب.
٣. صعوبة إثبات أن السور القصيرة للقرآن الكريم خارقة للعادة وأبعد من طاقة البشر.
٤. ترديد بعض الصحابة في تمييز لسان القرآن.

(٢٠) جاءت آيات التحدي في هذه السور: سورة البقرة، ٢٣؛ يونس، ٣٨؛ هود، ١٤ ـ ١٣؛ الإسراء، ٨٨؛ الطور، ٣٤.

١. عدم أفضلية لسان القرآن على سائر الألسنة:

يقول المدافعون عن الصرفة إن بلاغة القرآن لا تمتلك فصاحة وبلاغة متفوقة و عالية بالنسبة لكلام الفصحاء والبلغاء بحيث يدرك كل مستمع إلى للكلمات القرآنية هذا الفرق و هذه الأفضلية.

وقد تم تبيين هذه الحجة بطريقة أخرى كما يلي:

«ألا ترى أن الفرق بين شعر الطبقة العليا من الشعراء، وبين شعر المحدثين يدرك بأول نظر؟. ولا نحتاج في معرفة ذلك الفصل إلى الرجوع إلى من تناهى في العلم بالفصاحة... وكان الفرق بين قصار سور المفصل وبين أفصح قصائد العرب غير ظاهر لنا الظهور الذي ذكرناه –ولعله إن كان ثم فرق، فهو مما يقف عليه غيرنا، ولا يبلغه علمنا...»[٢١].

ويقول أبو مجد الحلبي في الدفاع عن

(٢١) الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ٩٨٤–٩٨٧.

نظرية الصرفة:

«إذ كان الكلام البليغ مقدورا لهم، وهم عليه مطبوعون، وبه متطاولون، فما وجه إخلافه لهم وتعذره عليهم في وقت اضطرارهم وحاجتهم إليه لولا ما ذكرناه، فإن كانت فصاحة ما تحداهم به أو نظمه أو كلاهما، وجب الفرق بين أفصح كلامهم وأرتبه، وبين أقصر سور المفصل على وجه يشترك في العلم به كل سامع لهما من مبرز ومقصر»[٢٢].

٢. تلازم بين قدرة عرض المفردات مع قدرة عرض التراكيب:

من الأدلة التي ذكرها دعاة نظرية الصرفة هو أن فصحاء العرب يستطيعون أن يأتوا بكلمات، وجمل و تراكيب مثل ما ورد في القرآن؛ والذي يقدر على الإتيان بالمفردات قادر على أن يأتي بتركيب يساوي تراكيب القرآن الكريم أو يفوقها.

ويقول صدر المتألهين نقلاً عن المدافعين عن نظرية الصرفة:

«انا نقطع بانّ فصحاء العرب كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة و مركباتها القصيرة مثل الحمد الله ومثل ربّ العالمين و هكذا الى الاخر، فيكونوا قادرين على الإتيان بمثل السورة»[٢٣].

ونقل المحقق البروجردي؛ في تبيين هذا الاستدلال كما يأتي ذكره:

«وأمّا ما يحكى عن القائلين بالصرفة في إبطال القول بالفصاحة من أنّ الإعجاز لو كان مستندا إليها لكان إمّا من حيث ألفاظه المفردة أو من حيث الهيئة التركيبيّة، أو منهما معا، والأقسام الثلاثة بأسرها باطلة، فإعجازه بسبب الفصاحة باطل، فيكون للصرفة، إذ ما عداها من الأقوال ضعيفة، وإنّما قلنا إنّ الأقسام باطلة لأنّ العرب كانوا قادرين على المفردات وعلى التراكيب، ومن كان قادرا عليهما منفردين يكون قادرا عليهما معا، فثبت من ذلك أنّ العرب كانوا قادرين على المعارضة وإنّما منعوا منها، ليكون المنع هو العجز»[٢٤].

(٢٢) المصدر السابق، ص ٤١ – ٤٤.

(٢٣) تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٢٧.

(٢٤) تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص٢٥٩– ٢٦٣.

وقال المحقق الخوئي؛ في هذا المجال: «وقالوا إن العارف باللغة العربية قادر على أن يأتي بمثل كلمة من كلمات القرآن. وإذا أمكنه ذلك أمكنه أن يأتي بمثل القرآن، لان حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد»[٢٥].

٣. صعوبة إثبات أن السور القصيرة للقرآن الكريم خارقة للعادة وأبعد من طاقة البشر:

قد يقال في الدفاع عن نظرية الصرفة بسخاء، لا يمكن الإدعاء بأن العرب لم يكونوا قادرين على الإتيان بكلام بليغ كسورة قصيرة من سور القرآن الكريم!.

يقول الفخر الرازي هذا الكلام بتفصيل أكثر و هو: «فإن قيل قَوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ يَتَناول سُورَةَ الْكَوثَر، وَسُورَةَ الْعَصْرِ وَسُورَةَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ونحن نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْإِتْيان بِمِثْله أَوْ بِمَا يَقرب منْهُ مُمْكن فَإِنْ قُلتم إِنَّ الْإِتْيَانَ بِأَمْثَالِ هَذه السُّور خارج عَنْ مَقْدُور الْبَشَر كَانَ ذَلِكَ مُكَابَرَةً وَالْإِقْدَامُ عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُكَابَرَاتِ مِمَّا يطرق التّهمة إِلَى الدِّين»[٢٦].

لذلك، وفق رأي هذه الفئة من المنظرين، يمكن للإنسان أن يأتي بمفردات سورة بل السور القصيرة للقرآن الكريم، كسورة الكوثر. وإذا كان إعجاز القرآن متعلقاً بعنصر داخلي للقرآن ولا عنصر خارجي أي الصرفة، يلزم أن يسقط اعتبار وحجية القرآن من الأساس. فلابد لنا أن نقول إن كل الآيات قصيرة كانت أم طويلة و كل سور القرآن القصيرة والطويلة معجزة ولكن ليس بسبب العنصر الداخلي والذاتي للقرآن، بل بسبب الصرفة، كما رضخ مؤلف مفاتيح الغيب لهذا و حسب كلامه إنه قبل بنظرية الصرفة.

٤. ترديد بعض الصحابة في تمييز لسان القرآن.

ومن أدلة المدافعين عن نظرية الصرفة هو أنهم يقولون بالاستناد إلى بعض الوثائق التاريخية لقد تعرض بعض

(٢٥) البيان في تفسير القرآن، ص ٨٢ – ٨٤.

(٢٦) مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١١٧؛ و بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص١٩٣.

الصحابة للتحير حين جمع القرآن وذلك بسبب تمييز كلام القرآن من الكلمات غير القرآنية فبالتالي حذفوا سورة قرآنية من مصاحفهم لما زعموا أنها ليست من القرآن؛ كما روي عن ابن مسعود بأنه حذف «الفاتحة» و «المعوذتين» من مصحفه أو أضاف أبي بن كعب سورتي «الخلع» و «الحفد» اللتين كانتا -حسب رأي جميع المحققين والباحثين -من أدعية النبي الاكرمﷺ كسورتين للقرآن إلى مصحفه.

ويبدو أن هذه الشبهة ناجمة عن عدم الإلتفات إلى معنى وماهية إعجاز القرآن بالضبط و كذلك حدود التحدي. ونحن نعتقد أن الله تعالى وضع كلا من سور القرآن الكريم بحيث لايقدر أي إنسان على الإتيان بكلام يضاهيها.

هناك في كل سورة من سور القرآن الكريم سبعة عناصر يضع مجموعها كل السورة في حد الإعجاز:

١. اختيار الموضوع أو موضوع جدير، يعني في الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى اختار ١١٤ موضوعاً وخصص لكل موضوع، سورة مما جعل القرآن الكريم في ١١٤ سورة. مثل إدراج عصارة القرآن الكريم كله في سورة الفاتحة، وتبيين التوحيد في سورة الإخلاص و التحذير الأخلاقي للناس للتجنب عن الخسارة الأبدية في سورة العصر. تحظى الموضوعات القرآنية بأهمية وقيمة بالغة بحيث كان ينبغي أن يخصص الله تعالى لكل منها سورة.

٢. تعيين أفضل فحوى؛ الفحوى لكل سورة من سور القرآن من جهة التعالي المعنوي والانطباق مع الحقائق الملكية والملكوتية بصورة لايقدر صنعها سوى الله المحيط بكل أسرار الكون وحده ولا غيره.

٣. اختيار أفضل مدخل؛ من عجائب القرآن، منهج بداية كل سورة من سور القرآن الكريم ببسملة بما فيها من أسرار كثيرة. ونحن نعلم جيداً أن عموم المكتوبات والخطابات البشرية فاقدة لأي مَطلع، ناهيك عن أن يجري الكلام حول حسنها.

٤. اختيار أفضل وأبلغ المفردات، نعرف أنه يمكن استعمال بضع كلمات مترادفة لإيصال رسالة واحدة، وخصوصا في العربية فنرى بعض الأحيان قد وُضعت سبعون مفردة لمعنى واحد. كما يجب القول بأن اختيار مفردات أبلغ و أفضل من غيرها نظرا إلى المدلول و الرسالة التي يجب أن توصل إلى قلب المخاطب أمر متوقف على علم وإحاطة ليسا في طاقة البشر.

٥. اختيار أقصر وأبلغ تركيب؛ فكل كلام بمنزلة بناء تكون الكلمات طوبه وشكل المبنى تركيبه. و خلافا لما ادعى دعاة الصرفة، فان من أصعب أجزاء كل كلام، تركيبه يعني كيفية تركيب جملة أو بضع جمل من بضع مفردات بحيث تجعل الكلام ضمن اختصاره المناسب أبلغ في إفادة المعنى من جميع جمل تشابهها. وهذا ما قد تم تحقيقه بأحسن وجه في سور القرآن و هو باليقين خارج عن طاقة وقدرة البشر.

٦. اختيار أفضل الصناعات الخطابية؛ كل كلام إضافة إلى المفردة و المعنى و التركيب يتمتع بالصناعات الخطابية مثل السجع أو الفاصلة و الالتفات والتي تسمى بالمحسنات البديعية كما أن سور القرآن بصورة كاملة و أفضل من أي كلام يحتوي على مثل هذه الصناعات.

٧. التمتع بصفات ماورائية؛ من خصائص الكلام القرآني التي قد يُغفل عنها هي الصفات الماورائية أو الملكوتية؛ مثل عدم زوال المعارف، و كونه نوراً و هدى و شفاء. وإدراك و فهم ماهية هذا القسم من الخصائص خارج عن طاقة البشر فضلاً عن أن تكون مثل هذه الخصائص مندرجة في عدة جمل.

فيجب أن يسأل حالياً: هل يمكن أن نجد كلاماً في حد و قيمة السور القصيرة للقرآن الكريم بين أفضل الكلمات و الخطابات خاصة للعرب منذ البداية حتى الآن وفي أية لغة كانت بحيث يجمع كل هذه الخصائص التي

سبق ذكرها في نفسه؟.

كل الذين صرفوا عمرهم في الأدب و اللغة ومطلعون على أسرار هذا العلم يعرفون جيداً بأنه لم يظهر في تاريخ العرب، خطباء مثل امرئ القيس بن حجر الكندي، و زهير بن أبى سلمى المزني، و عمروبن كلثوم التغلبي، و عنترة بن شداد العبسي، و لبيد بن أبي ربيعه العامري، والحارث بن حلزة اليشكري و طرفة بن العبد؛ هؤلاء نفس أصحاب المعلقات السبعة التي اشتهر بأنها كتبت بماء الذهب و علقت للتفاخر على جدار الكعبة. من المعلقات السبعة قصيدة امرئ القيس التي تبدأ بمطلع "قفا نبك" و التي رجحها الجميع من بين المعلقات.

معنى هذا الكلام أن معجزة العرب من البداية حتى الآن نفس هذه المعلقات السبعة لم يدّع أحد حتى الآن أن يكون قد ظهر كلام أفضل و أعلى درجة منها إلى يومنا هذا.

بغض النظر عن أن المعلقات السبعة تكون في أسلوب الشعر و القرآن يعتبر كلامه أفضل و أعلى و أنزه من الشعر يجب أن نسأل هل ادعى أحد في نفس الزمان الذي كانت المعلقات السبعة معلقة على ستار الكعبة إلى زماننا هذا أن تكون معجزات العرب هذه على قدرة أن تضاهي و تنافس القرآن الكريم!؟.

نعم، أعلن القرآن الكريم بوضوح في آخر تحدٍ له: فأتوا بسورة من مثله؛ إن استطعتم ثم اعرضوه للعالم و لم يفصل القرآن بين سورة قصيرة أوطويلة. فلماذا لو كان للكفار و المشركين في عصر النزول أو للمعاندين المتعصبين للعصر الحاضر هناك ادعاء على ذلك بدلاً من أن يرهقوا أنفسهم في هذا المجال و يفدوا بأنفسهم و أموالهم في معركة القتال، لم يحاولوا أن يأتوا بسورة قصيرة كسورة الكوثر ليكونوا بذلك قد أراحوا بالهم و تخلصوا من الاسلام و القرآن؟!.

و أما ابن كثير، فبعد ما ذكر كلام الفخر الرازي حول إمكانية معارضة السور القصيرة للقرآن و خضع لهذا القول شيئاً ما يقول:

«الإعجاز يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة.... فالاعجاز

حاصل في طوال السور وقصارها.... وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين فقال له عمرو لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علي مثلها فقال: وما هو؟. فقال: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حقر فقر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله إنك لتعلم أني لاعلم أنك تكذب»[٢٧].

إذا أوجد قصر سورة الكوثر المباركة لشخص هذه الشبهة بأنه لربما يوجد بين أصحاب الخطابة والادب من يستطيع أن يأتي بمثلها نرجعه إلى كلام نفس هؤلاء المفكرين كي يتضح لهم أن هذه السورة مع كل قصرها كم و إلى أي حد يتمتع بمواصفات الكلام الرفيع و إلى أي مدى بلغ ذروة الفصاحة و البلاغة و الطريف أن جار الله الزمخشري أثبت في رسالة مستقلة من خلال تحقيق له وجوه أفضلية هذه السورة و ذلك في إجابة الذي كان قد طرح نفس هذه الشبهة.

يقول المحقق السيد الخوئي قدس سره في هذا الخصوص: «إن هذه الشبهة لا تليق بالذكر، فإن القدرة على الاتيان بمثل كلمة من كلمات القرآن، بل على الاتيان بمثل جملة من جمله لا تقتضي القدرة على الاتيان بمثل القرآن، أو بمثل سورة من سوره، فإن القدرة على المادة لا تستلزم القدرة على التركيب»[٢٨].

والاستناد إلى عمل البعض من الصحابة في ترك سورة من القرآن الكريم لا صحة و لا أساس له إذا إنه في غاية الضعف لأن القرآن وفق رأي أكثر المنظرين و علماء الفريقين تم تدوينه و جمعه في عهد النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و تبينت بداية و نهاية القرآن للجميع و لم يكن الأمر بحيث يجمع أحد مصحفاً فيه زيادة أو نقصاناً من سورة.

من جهة أخرى ليس لدينا ما يوضح كيفية مصاحف الصحابة و التفاصيل

(٢٧) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٥.

(٢٨) البيان في تفسير القرآن، ص ٨٣.

لها و ما نستطيع قوله فقط هو أنه قد ذكر عنها في المنابع التأريخية و الروائية لأهل السنة. بعبارة أوضح، ليست لدينا مصاحف الصحابة حالياً كي نستطيع أن نقبل صحة أو بطلان الادعاءات المذكورة حول نقصان أو زيادة سورة فيها[٢٩].

و ما يجب القول بشأن مصحف ابن مسعود هو أنه لم يحذف سورة الحمد من القرآن بحجة أنها ليست من سور القرآن و إنما كان يدعي بها أن سورة الفاتحة علّ القرآن فإذاً له مكانة رفيعة لا تحتاج إلى ضبط و تسجيلها في المصاحف و أما مع افتراض قبول ادعاء أبي بن كعب الدال على كون الدعائين "خلع" و "حفد" من سور القرآن يجب أن نقول بأنه ناجم عن ضعفه الكبير و من مثله في هذه الأقاويل لأن نظرة عابرة و غير فاحصة إلى هذين الدعائين تظهر لنا بصورة جيدة أن بينهما و سور القرآن الكريم من حيث الهيكلية و الفحوى بوناً شاسعاً مثلما بين الثرى و الثريا!.

و من جهة أخرى أيضاً يبين لنا النظر في الآيات الدالة على إعجاز القرآن بأن هذه الآيات تعتبر إعجاز القرآن معتمداً على ذات القرآن و ما ورد فيه و ليس أمراً خارجياً و أبعد من الآيات و وراءها.

على سبيل المثال يقول العلامة الطباطبائي قدس سره في هذا المجال:

«هذا قول فاسد، لا ينطبق على ما تدل عليه آيات التحدي بظاهرها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فإن الجملة الأخيرة ظاهرة في أن الاستدلال بالتحدي إنما هو على كون القرآن نازلا... والصرف الذي يقولون به، إنما يدل على صدق الرسالة بوجود آية هي الصرف، لا على كون القرآن كلاما لله، نازلا من عنده».

ثم يستشهد بآيات آخرى من القرآن قائلا:

«ونظير هذه الآية، الآية الأخرى

(٢٩) للمزيد من المعلومات راجع: التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص ٣٠٧-٣٢٦.

وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ فإنها ظاهرة في أن الذي يوجب استحالة إتيان البشر بمثل هذا القرآن، وضعف قواهم وقوى كل من يعينهم على ذلك من تحمل هذا الشأن، هو أن للقرآن تأويلا لم يحيطوا بعلمه، فكذبوه ولا يحيط به علما إلا الله، فهو الذي يمنع المعارض عن أن يعارضه لا أن الله سبحانه يصرفهم عن ذلك مع تمكنهم منه لولا الصرف بإرادة من الله تعالى».

و من جملة الآيات التي يستدل بها العلامة الطباطبائي لنقد نظرية الصرفة هي آية نفي اختلاف:

«وكذا قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ فإنه ظاهر في أن الذي يعجز الناس عن الاتيان بمثل القرآن، إنما هو كونه في نفسه على صفة عدم الاختلاف لفظا ومعنى، ولا يسع لمخلوق أن يأتي بكلام غير مشتمل على الاختلاف، لا أن الله صرفهم عن مناقضته بإظهار الاختلاف الذي فيه»[٣٠].

إن استدلال العلامة الطباطبائي دقيق و منصف جداً لأنه بالاستناد إلى كل آيات التحدي، الذي تم التأكيد بشأنه كإعجاز القرآن هو من مواصفات القرآن الذاتية.

كتب الزركشي في هذا الموضوع: «هذا مع أن الاجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله مخالفت نظريه صرفه با اجماع»[٣١].

من جهة أخرى يجب أن نعلم أن المنهج المتداول و المتعارف في التحدي هو أن يدخل الطرفان أي المتنافسان المعركة مع قدرات مختلفة و يتصارعا في ساحة المبارزة كي يظهر تغلب أحدهما على الآخر دون أن يكون تدخل خارجي في ذلك الأمر بأن يحصل تصرف من الخارج

(٣٠) راجع: محاضرات في الإلهيات، ص٣١٣.
(٣١) البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٣.

بغية تمهيد غلبة أحد الطرفين على الآخر.

إذاً لو صار من المقرر -على سبيل المثال -أن يقيَّد أحُد المجالدين (المصارعين) في ساحة مباراتهما أو يشده أحد بحبل نحو الخلف أو الأمام أو يبطأه أو يسرّعه ويقوّيه بحقن مادة أو سائل فى بدنه عندئذ لا نسمي ذلك مباراة في الحقيقة إذ لم يتحقق المفهوم الحقيقي للمباراة.

كما أن سر تجريم "المنشطات" اليوم في جميع الميادين و إخراج اولئك الذين يستعلمون المنشطات من ميادين السباق أو استرداد الجوائز ممن تبين وانكشف في حقه استعمال هذه المواد المنشطة حتى و إن مر الزمان بفوزه تلخص في جملة واحدة و هي أن المبارزة يجب أن تتحقق على أرض المبارزة والتنافس بشكل حقيقي وصادق دون أن يتدخل فيها أي عامل خارجي.

لا يلتفت المدافعون عن نظرية الصرفة إلى أنهم أخرجوا و أسقطوا التحدي من معناه الحقيقي في الواقع لما ادعوا التدخل القسري و القهري من قبل الله تعالى في عملية التحدي فبالتالي خضعوا لمبارزة كان حكمها واضحاً من خلال الإرادة الجبرية الإلهية سابقاً!.

قال الجرجاني: «وأما القول بالصرفة فلوجوه الأول الاجماع قبل هؤلاء) القائلين بها (على أن القرآن معجز) وعلى هذا القول يكون المعجز هو الصرف لا القرآن ألا ترى أنه (لو قال أنا أقوم وأنتم لا تقدرون عليه وكان كذلك لم يكن قيامه معجزا بل عجزهم من القيام) فهذه المقالة خارقة لإجماع المسلمين السابقين على أن القرآن معجزة لرسول الله دالة على صدقه (الثاني) إنهم (لو سلبوا القدرة)»[٣٢].

و عبر عن ذلك بدر الدين الزركشي بأن مفهوم وجود الإرادة القهرية لله تعالى في منع معارضي القرآن عن المعارضة هو أن تدعو أنتم موتى للمواجهة فنتيجة ذلك لا يثبت شيء بدعوة الموتى للمبارزة إلا عجز و عدم قدرة المتحدي: «ولو سئلوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز

(٣٢) شرح المواقف، ج ٨، ص ٢٥٢.

الموتى بكبير يحتفل بذكره»[٣٣].

الاستنتاج:

مما تقدم ذكره في هذا البحث عن نقد و دراسة نظرية الصرفة تتوفر النتائج التالية:

١. الصرفة على أساس التحليلات الثلاثة المتقدمة، بمعنى التدخل القسري والجبري لله تعالى في منع معارضي القرآن من المعارضة له. أكد على هذه النظرية بعض العلماء والمنظرين.

٢. هناك ثلاثة اتجاهات أساسية بشأن نظرية الصرفة و ذلك هو:

أ. الدفاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الخلو.

ب. الدفاع عن نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع.

ج. نقد نظرية الصرفة بصورة مانعة الجمع.

٣. يمكن الفهم من تحليل مجموع كلمات المدافعين عن نظرية الصرفة بأن خطأين كبيرين كانا مؤثرين في ظهور نظرية الصرفة كما يلي:

أ. تصور انحصار إعجاز القرآن في الجوانب الشكلية والبلاغية.

ب. عدم الإلتفات بحدود تحدي القرآن.

٤. من مشاهدة كلمات المدافعين عن نظرية الصرفة يمكن أن نفهم بأنهم قدموا أربعة أدلة لنظرية الصرفة:

أ. عدم أفضلية لسان القرآن على سائر الألسنة.

ب. تلازم بين قدرة عرض المفردات مع قدرة عرض التراكيب.

ج. صعوبة إثبات أن السور القصيرة للقرآن الكريم خارقة للعادة وأبعد من طاقة البشر.

د. ترديد بعض الصحابة في تمييز لسان القرآن.

٥. المعارضون لنظرية الصرفة، بينما ينتقدون أدلة المدافعين عنها يعتبرون هذه نظرية محل النقاش لكن من جهات أخرى، لأن مدلول الآيات المثبتة هو الاعجاز الذاتي للقرآن من جهة و من جهة أخرى إذا اعتمدنا

(٣٣) البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٣.

على نظريـــة الصرفة يفقد التحدي مفهومه.

المصـــــادر:

١. مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، بيروت، انتشارات دارالكتب العلمية، ١٤٠٩ق.

٢. مجمع البيان في علوم القرآن، امين الاسلام الطبرسي، تهران، انتشارات ناصر خسرو، بي تا.

٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، حسن بن مطهر الحلي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩.

٤. كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، انتشارات ناصر خسرو، تهران، ١٣٠٦ ق.

٥. قواعد المرام في علم الكلام، البحراني، ابن ميثم، قم، مكتبة آية الله مرعشي نجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٦. قرآن در قرآن، جوادي آملي، عبدالله، قم، نشر اسراء، ١٣٧٨.

٧. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة الثالثة، قم، مجمع الفكر الاسلامي، ١٤١٧.

٨. شرح المواقف، قاضي ايجي، عضدالدين، مصر، مطبعة السعادة، بيتا.

٩. شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، سعد الدين، باكستان، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١.

١٠. سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤.

١١. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مصر، مطبعه المدني، ١٤١٣.

١٢. جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دارالفكر، ١٤١٥.

١٣. تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٧.

١٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار الصادر، بيروت، ١٣١٧.

١٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بي تا.
١٦. تفسير الصراط المستقيم، سيد حسين البروجردي، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦.
١٧. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر الدمشقي، ابو القاسم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ ق.
١٨. بيام قرآن، ناصر مكارم و السائرين، قم، مطبعة نسل جوان، ١٣٧٣.
١٩. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، سيد محسن الخزازي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٨.
٢٠. بحوث في تاريخ القرآن و علومه، مير محمدي، سيد ابو الفضل، جامعة المدرسين في الحوزه العلمية، قم، ١٤٢٠.
٢١. بحارالانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، العلامة المجلسي، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣.
٢٢. اوائل المقالات، الشيخ المفيد، تحقيق: ابراهيم انصاري، الطبعة الثانية، بيروت، دارالمفيد، ١٤١٤.
٢٣. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، بي تا.
٢٤. المواقف، عضد الدين إيجي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٧.
٢٥. المسلك في أصول الدين، المحقق الحلي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الثالثة، ١٤٢١.
٢٦. القرآن والعقيدة، سيد مسلم الحلي، بي نا، بي تا، بي جا.
٢٧. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩.
٢٨. الجامع لاحكام القرآن الكريم، محمد قرطبى، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٢٠.
٢٩. التمهيد في علوم القرآن، معرفت، محمد هادي، نشر جامعة المدرسين، قم، ١٤١٢.
٣٠. البيان في تفسير القرآن، سيد ابوالقاسم الخوئي، قم، انوار

الهدى، ١٤٠١.
٣١. البرهان في علوم القرآن، بدرالدين الزركشي، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٢٢.
٣٢. الالهيات، جعفر سبحاني، قم، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، ١٤١١.
٣٣. الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد، محمدبن حسن شيخ الطوسي، تحقيق: حسن سعيد، قم، مكتبة جامع چهلستون، ١٤٠٠.
٣٤. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطى، قم، انتشارات زاهدي، ١٤١١.
٣٥. اطيب البيان، سيد عبد الحسين طيب، الطبعة الثالثة، طهران، مكتب نشر الاسلام، ١٤١١.
٣٦. إشارة السبق، أبو المجد الحلبي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤.
٣٧. مفاتيح الغيب، (تفسير كبير)، محمد بن عمر الرازي، بيروت، دارالفكر، ١٤٢٣.